International Journal of Linguistics, Literature and Translation
ISSN: 2617-0299 (Online); ISSN: 2708-0099 (Print)
DOI: 10.32996/ijllt
Journal Homepage: www.al-kindipublisher.com/index.php/ijllt

The German Orientalist School Vis-à-vis the History of Arabic Literature: Carle Brockelmann as a Locus Classicus

المدرسة الاستشراقية الألمانية إزاء تاريخ الأدب العربي: كارل بروكلمان نموذجاً

Hakeem Salmon
Lagos State University, Nigeria
✉ **Corresponding Author**: Hakeem Salmon, **E-mail**: hasbyrabby66@yahoo.com

ARTICLE INFORMATION

Received: April 08, 2021
Accepted: May 14, 2021
Volume: 4
Issue: 5
DOI: 10.32996/ijllt.2021.4.5.26

KEYWORDS

Orientalism, Orientalist, Arabic literature, Islamic languages, Arab writers

ABSTRACT

It is an incontestable fact and incontrovertible truism that Orientalism- a term deployed to signify a socio-political trend signifying intellectual enquiry and the academic study of Eastern cultures by the Western intelligentsia – is one of the sources of information about Islam and Muslims. This is a culmination of gargantuan endeavours lent Arab autochthonous patrimony; whether the fragments scribbled in pure Arabic; or those documented in other Asian or African languages; or other Islamic languages such as Persia, Urdu and Turkish; in terms of preservation, study, editing, publication, or indexing. It would be pertinent here to mention the tremendous efforts the Muslims have made to follow what the Westerners have accomplished. The issue of Orientalism has polarized the Arab writers into two extremes: the Revolutionary, obsessed with an unbridled, enthusiastic penchant and infatuated with an irrational hallucinatory predilection to the level of deference and obsequiousness; and the Neo-conservative who discern it as a reprehensible scourge and pestilential plague that should not be embraced at all; not even with a long pole. Between these extremes, we have yet another constellation that is liberal, moderate and detached in its assessment of any matter with a scintilla of nexus to Orientalism. While identifying ourselves and pitching our tent with this coterie, we hereby present Carle Brockelmann, an iconic connoisseur and illustrious belletrist from German mise-en-scene (based on the application of the theory of 'Aqiq's taxonomy of Orientalists according to geographical cleavage as propounded in his Encyclopedia christened al-Istishraq wa 'l-Mustashriqun) and dissect through analytical framework his blazing trail feat in the stratosphere of History of Arabic Literature.

الملخص:

الحقيقة الناصعة التي لا يتناطح عليها عنزان أنّ الظاهرة الإستشراقية تشكّل مصدرا من مصادر المعلومات عن الإسلام و المسلمين؛ و هذا ناتج عن اهتمامات بالغة أعارها المستشرقون التراث العربي الإسلامي _ سواء ما دوّن باللغة العربية الصرفة أم ما كتب باللغات الإسلامية الأخري كالفارسية و الأردية و التركية و لغات أسيوية و أفريقية _ من حيث الحفظ و الدراسة و التحقيق و النشر و الترجمة و الفهرسة و التكشيف. و من المستحسن ألاّ نغفل ذكر ما بذله المسلمون من جهود جبّارة في التحقيق و الدراسة و النشر للمعلومات متابعة لما قد فعلها المستشرقون أنفسهم. هذا، و قد ذهب الكتّاب العرب شذر مذر، فكانوا طرائق قددا إزاء فينوميلوجيا الإستشراقية ؛ ما بين قبول مفرط – إلي حدّ التقديس- و اشمئزاز اعتدائي لاذع و اعتدالية منطقية . و نحن إذ ندعم أنفسنا و نتخيّم مع أولئك الذين يتّخذون مواقف معتدلة بشأن القضية التي نحن بصددها، نقدّم في هذه الورقة عملاقا من عمالقة المدرسة الإستشراقية الألماني منوّها بدوره الفعال في تطوير الأدب العربي.

الكلمات المفتاحية: الاستشراقية، المستشرقون، اللغات الإسلامية، عملاق، الأدب العربي

المقدمة

لقد حظي الأدب العربي باهتمام كبير من الدراسات الإستشراقية حيث كان في مقدمة العلوم الشرقية التي تناولها المستشرقون؛ لصلته بالإسلام وكتابه القرآن، و أهميّته في دراسة الشخصيّة العربيّة وفهمها ، وأثره في آداب مختلفة، ومنزلته بين الآداب العالمية واستمرار تاريخه. ولقد ساهم المستشرقون في إحياء التراث الأدبيّ خلال دراسة المخطوطات العربيّة وتحقيق العديد من أمّهات الكتب العربيّة وترجمة بعض هذه الكتب إلى لغات مختلفة، وكتابة

مؤلفات رائعة عن اللغة العربية وآدابها ؛إضافة إلى إنشاء المعاهد والجامعات في بلدانهم الغربيّة للدراسة والبحث في الأدب العربي والعلوم الشرقيّة. ولإنجاز رغبتهم في الإحاطة بالأدب العربي، بحثوا في كل ما يتعلّق به من الناحية التاريخيّة لمعرفة تاريخه ونشأته وتكوينه ومنزلته وتطوّره؛ فقاموا بتقسيم الأدب إلى عصور، الأمر الذي كان جديدا في دراسة الأدب العربي، إذ لم يوجد هذا لدى مؤرخيه القدامى. فنال المستشرقون لواء السبق في كتابة تاريخ الأدب العربي حسب العصور؛ فتأثّر بهم علماء العرب، وأخذوا يسلكون مسلكهم في كتابة تاريخ الأدب العربيّ. وكان كارل بروكلمان الألماني صاحب "***تاريخ الأدب العربي***" من رواد هذه الحركة المؤثّرة.

الاستشراق: المفهوم، النشأة، والمدارس

أ المفهوم اللغوي والإصطلاحي

وكلمة "استشراق" عند إرجاعها إلى أصلها وجدناها مأخوذة من كلمة "شـ ـر ق" ثم أضيف إليها ثلاثة أحرف من الزوائد الألف والسين والتاء، ومعناها طلب الشرق؛ وليس طلب الشرق سوى طلب علوم الشرق وآدابه ولغاته وأديانه..

ولقد لقي مصطلح الإستشراق محاولات كثيرة من العلماء قديما وحديثا في تعريفه وتحديد مفهومه . وستوحّد هذه المحاولات في المستقبل إذلم يوجد تعريف خاص متفق عليه عند علماء الشأن في مشرق العلم ومغربه ؛غير أنه توجد تعريفات مشهورة لدى العلماء. و في هذه المحاولات أدلي أدلاءهم جهابذة العلم و أساطينه من أمثال رودي بارت Rudy Bart و آربري Arberry و مكسيم رودنسون MaximeRodinson وإدوارد سعيد Edward Said وأحمد غراب ؛ غير أن راي أحمد جمال بليد بمثابة بوتقة تنصهر فيها جميع النظريات التي افترضها أسلافه في هذا المجال . و يتجلّي هذا بنصاعة في تسليمه بأنّ "الإستشراق هو: اتجاه فكريّ يعنى بدارسة حضارة الأمم الشرقيّة بصفة عامّة وحضارة الإسلام والعرب بصفة خاصة. وقد كان مقتصرا في بداية ظهوره على دراسة الإسلام واللغة العربيّة، ثمّ اتّسع ليشمل دراسة الشرق كلّه، بلغاته وتقاليده وآدابه. فالمستشرقون هم علماء الغرب الذين اعتنوا بداراسة الإسلام واللغة العربية، ولغات الشرق وأديانه وآدابه.[1]

ووضع أصحاب مركز المدينة المنورة اللبنة النهائية لهذه التعريفات بقولهم " ويمكننا أن نلحق بالاستشراق ما يكتبه النصارى العرب من أقطاب وماروبين وغيرهم ممن ينظر إلى الإسلام من خلال المنظار الغربي، ويلحق به أيضا ما ينشره الباحثون المسلمون الذين تتلمذوا على أيدي المستشرقين وبنوا كثيرا من أفكار المستشرقين[2]

ب ـ النشأة

لا شكّ في أنّه من الصعب جدّا تحديد تاريخ معيّن لبداية الإستشراق، وليس هناك دليل قاطع يدلّ على البداية الحقيقية والمنظّمة للإستشراق. فاختلف الباحثون في نشأته وبدايته. ربّما ذلك بسبب اختلافهم حول مفهوم الإستشراق أو بيان الأسباب والدوافع أو بداية الإستشراق بمحاولة فردية أو منظّمة. ونلخّص فيما يلي بعض تلك الآراء:

أ ـ إنّ الإستشراق بدأ في القرن السادس قبل الميلاد، ويراد به زيارة الشرق والسفر إليه والإطّلاع على تقاليد وتاريخه ثمّ الكتابة عنه، بغضّ النظر عن الجانب الدينيّ أو السياسيّ أو العلميّ، كالمؤرّخ اليوناني الإغرقي "هيردوتس" الذي يعتبر أول مستشرق لأنه زار الشرق وكتب عنه في القرن السادس قبل الميلاد.[3]

ب ـ إنّ الإستشراق بدأ في القرن السابع الميلادي في العهد الأموي حيث قام العالم النصراني يوحنا الدمشقي (686 -749م) بدراسة الإسلام بقصد التشويه والتشكيك، ولأجل حماية إخوانه النصارى. ومن كتبه: ***محاورة مع المسلم***، و***إرشادات النصارى في جدل المسلمين***.[4]

جـ ـ إنّ الإستشراق انطلق من الأندلس في القرن الثامن الميلادي، حيث دخلها المسلمون في عام 711م، واحتكّ سكان أوروبا من المسيحيين وغيرهم مع المسلمين، واختلطوا معهم اختلاطا علميّا وثقافيّا في جامعات المسلمين ومعاهدهم ومدارسهم هناك، وتتلمذوا عليهم، ثم رجعوا إلى بلادهم وأوساطهم متأثّرين بالثقافة الإسلاميّة.[5]

د ـ إنّه بدأ في القرن العاشر الميلادي، حيث توافد رجال من أوربا إلى الأندلس، ودرسوا في جامعات المسلمين اللغة العربيّة والثقافة العربيّة الإسلاميّة؛ وكذلك الطبّ والكيمياء والفلسفة والرياضيّات وغيرها من العلوم التجريبيّة، ثم قاموا بترجمة الكتب العربيّة إلى لغاتهم، وعلى رأسهم الراهب الفرنسي جربرت.[6]

هـ ـ إنه بدأ في القرن الثاني عشر الميلادي، وذلك حين ترجم الراهب الإنجليزي "هرمان" القرآن الكريم إلى اللغة اللاتينية عام 1143م، وكما صدر أول قاموس عربي – لاتيني في هذه الفترة.[7]

و ـ بدأ الاستشراق في القرن الثالث عشر الميلادي، وذلك بعد انتهاء الحروب الصليبية التي بدأت عام 1095م، وانتهت عام 1291م بهزيمة نكراء للصليبين، فتوجهوا إلى دراسة أسباب غلبة المسلمين وفوزهم، وهكذا بدأ الاستشراق.[8]

ز ـ بدأ في القرن الرابع عشر الميلادي، وهو بداية الاستشراق الرسمي، حيث صدر قرار من مجمع فيينا الكنسي عام 1312م بإنشاء عدد من كراسي اللغة العربية في عدة جامعات أوربية.[9]

حـ ـ بدأ في القرن السادس عشر الميلادي، وهو ما يسمونه***فترة الإصلاح الديني***، وفيها بدأ اتّصال الغرب المسيحي بالشرق المسلم اتّصالا اقتصاديّا – سواء في كشف موارد الثروة فيه أو في استغلالها ونقلها إلى الغرب – في صورة تبادل تجاري أو في صورة أخرى.[10]

ط ـ بدأ في القرن الثامن عشر الميلادي أي بالتحديد بعد الحملة الفرنسية على مصر عام 1798م، حين جاء نابليون (Napoleon Bonaperte) إلى مصر، وحمل معه عددا كبيرا من العلماء، كما حمل معه مطبعة عربيّة ساعدت هؤلاء العلماء في القيام بأبحاث متعدّدة وطبعها ونشرها.[11]

جـ - المدارس:
إختلف الباحثون في تصنيف مدارس الإستشراق؛ فمنهم من راعى التصنيف الموضوعيّ وذكر المستشرقين بحسب تخصّصاتهم العلميّة. ومنهم من اختصّ بالدراسات القرآنيّة؛ ومنهم من اختصّ بدراسات السنّة والسيرة المتعلّقة بالرسول صلّى الله عليه وسلّم؛ ومنهم من اختصّ بتاريخ العرب والإسلام. ولا يخفى أنّ هذا التقسيم لا يخلو من صعوبة، إذ من الصعب أن يكون هذا التصنيف دقيقا لأمرين:

الأول: أنّ معظم المستشرقين قد كتبوا في موضوعات متداخلة، وليس من اليسير على الباحث أن يكون دقيقا في تصنيفه، لصعوبة تحديد اتجاهات المستشرقين بسبب تداخل العلوم الإسلاميّة وتقاربها.

الثاني: من الصعب – وفقا لهذا التصنيف الموضوعيّ – وضع خصائص لكلّ مدرسة من المدارس الإستشراقية، لأنّ كلّ مدرسة تشتمل على عدد كبير من المستشرقين يختلفون اختلافا بيّنا في مناهجهم واتجاهاتهم وميولهم، لإختلاف طبائع الشعوب وما تتركه في شعوبها من طبائع وملامح.

ولهذا اتجه بعض الباحثين إلى تصنيف المدارس الاستشراقية بحسب انتماءات أفرادها، فهناك المدرسة الفرنسية، والمدرسة الإنجليزية والمدرسة الألمانية، والمدرسة الإيطالية، والمدرسة الإسبانية، والمدرسة الأمريكية، والمدرسة الروسية. واختار الأستاذ نجيب العقيقي في كتابه ***المستشرقون*** هذا التصنيف، ورجّحه، وتحدّث عن كلّ دولة من الدول الأوربيّة، وذكر كلّ ما يتعلّق بالدراسات الإستشراقيّة فيها، من كراس ومكتبات ومطابع ومجلاّت، وعدد أسماء المستشرقين وترجم لكلّ واحد منهم، وذكر آثاره العلميّة. وهذا المنهج في التصنيف الجغرافي أيسر من ناحية التصنيف الموضوعي؛ إذ يساعد على استخراج خصائص كلّ مدرسة، واتجاهاتها ومواقفها ومواطن اهتمامها.

ومع هذا، فإنّ كلاً من التصنيف الموضوعي والجغرافي، لا يغني واحد عن الآخر؛ ولا بدّ من إيجاد تصنيف ثالث، يساعد على تكوين مدارس استشراقية، من حيث المواقف والخصائص، فهناك المدرسة الموضوعية التي يغلب على أفرادها الحياد والإنصاف والإلتزام المنهجي والنزاهة، وهناك المدرسة العنصرية التي يغلب على أفرادها التعصّب والأحكام المتسرّعة وعدم النزاهة، ومحاولة إبراز مظاهر التعالي والتفوق الغربي على الشرق.

والباحث في ظاهرة الاستشراق يعنيه في الدرجة الأولى أن يصنّف المستشرقين بحسب مواقفهم الأخلاقيّة، وبحسب احترامهم لقواعد البحث العلمي والإلتزام بالموضوعية، ومن الطبيعي أنّنا ننظر بارتياح للمستشرقين الذين يقفون موقف النزاهة ويدافعون بحرارة عن حضارتنا وتراثنا وعقيدتنا، فهؤلاء جديرون بالتقدير، من وجهة نظرنا.

المستشرقون وتاريخ الأدب العربي
لقد حاول علماء الإستشراق الإحاطة بالأدب العربّي إحاطة كاملة، فبحثوا في كلّ ما يتعلّق به معتبرين تاريخه أساسا لذلك، ومن هنا واجهوا معضلة تأريخه ونشأته وتكوينه ومنزلته وتطوّره وأرادوا أن يحلّوها، ولكي يقوموا بذلك كان عليهم أن يبدأوا دراستهم للأدب العربي على أساس جديد، وهكذا ذهبوا فقسموا هذا الأدب إلى عصور، وكأنّ هذا أمر جديد فيه بوجه عامّ، إذلم يقم مؤرّخوه القدامى بتقسيمه على هذا الأساس، بل كانوا يركّزون جهودهم على وضع الأدباء في إطار تاريخيّ حسب الولادة والوفاة والموضوع . ولذلك كلّه كانت محاولة الإستشراق لدراسة الأدب العربيّ عن العالم حتى سلك المستشرقون مسلك مؤرّخيهم الغربيّين في دراسة آدابهم المختلفة، وهكذا أخذوا اتجاها جديدا في دراسة الأدب العربي أيضا، إذن فالمستشرقون هم الذين حلّوا مشكلة التحقيق في الأدب العربيّ الحديث وتأثّر بهم علماء العرب المحدثون كل التأثّر.[12]

ففي القرن التاسع عشر ظهرت آثار غلبة العلوم الطبيعيّة والتجريبيّة الطبّيّة على العقول الغربيّة ولأجل ذلك دعا بعض مؤرّخي الغرب إلى استخدام مناهج تلك العلوم الطبيعيّة والتجريبيّة وقواعدها في الدراسات الأدبيّة ووضع نفر منهم للأدب قوانين كقوانين الطبيعية والتجريبية والطبّيّة وقواعدها في الدراسات الأدبيّة. ومضى سانت بيف (Sainte Beuve) في دعوته إلى العناية بشخصيات الأدباء وتعقّب حياتهم المادّيّة والمعنوية ومؤثّراتها، حتّى يتبيّن لنا ما ينفرد به الأديب وما يشترك فيه مع سواه من الأدباء.[13] فإذا تبيّنّا الطرفين يمكن وضع الأدباء في فصائل وأُسَر كما يفعل علماء النبات في ترتيب النباتات في أنواع وفصائل نباتية مختلفة. والمثل أن يضع مؤرخو الأدب الأدباء في طبقات وفصائل على أساس ما يقوم بين الأديب وفصيلته من تشابه تستخلص منه قوانين الأدب العلميّة ميّزت أصحاب كلّ فصيلة من خصائص وصفات. وجاء تاين (Taine) مقررا وجود "جَزْم"[14] أي القوانين الثلاثة التي يخضع لها الأدب في كلّ أمّة وهي الجنس والزمان والمكان، وكأنه أراد تصريف تاريخ الأدب إلى ضرب من التاريخ العلمي؛ فأدباء كلّ أمّة خاضعون لهذه القوانين الثلاثة خضوعا جبريّا ملزما...[15]

إضافة إلى هذين المنهجين في دراسة تاريخ الأدب عند المستشرقين وجد منهج أخر عند برونتيير (Brunetiere) المفتون بمذهب داروين في التطوّر ونشوء الكائنات العضويّة وارتقائها، وقد سبقه "هربرت سبنسر" (HarbertSabnsar) إلى نقله من العضويات إلى المعنويات، وقام بتطبيقه على الأخلاق والإجتماع، فحاول نفس التطبيق على الأدب وفنونه المختلفة، واختار المسرح والنقد والشعر الغنائي من الفنون الأدبيّة لهذا التطبيق، فتتّبع كلاً في نشأته ونموّه وتطورّه وما يتأثّر فيه.[16]

فبتأثير نموّ العلوم الإنسانيّة في أوائل القرن العشرين هدّأت موجة إلحاق تاريخ الأدب بالعلوم الطبيعيّة والتجريبيّة وتطبيق قواعدها عليه. فإن العلوم الإنسانيّة يقرّر خضوع عالم الإنسان لقوانين أعمق من القوانين الطبيعيّة ، وألاّ يلحق تاريخ الأدب بالعلوم الطبيعيّة ؛ وإنما يلحق بالدراسات الإنسانية مثل التاريخ والقانون والسياسة وعلمي الإجتماع والنفس.[17]

ولعلّ المستشرق النموسي، يوسف هامر بورجستال (Ivon Hammer Purgstall) أوّل من قام بمحاولة تقديم تاريخ الأدب[18] في عرض كامل من الوجهة الإنسانيّة، حين صنّف كتابا ذا سبعة أجزاء في هذا الفنّ. ونشر الكتاب في فينا (Wiens) سنة (1850م) غير أن بورجستال لم يكن على علم كاف بالعربيّة. [19]ثم صنّف أربتنوت الإنجليزي (Arbuthnot) كتابا في التاريخ والأدب العربيّين سنة 1890، في لندن وعنوانه***ويكيبيديا***، يتّسم بالإيجاز المخلّ ولكن هذا الكتاب لا يتميّز كثيرا عن كتاب بورجستال. وصنّف فون كريم (Avon Kremer) أحسن ما صنّف في هذا الفنّ، هو التخطيط المختصر الذي تحدّث عن تاريخ عمران المشرق في عصر الخلفاء. ثم صنّف كارل بروكلمان ***تاريخ الأدب العربي*** ونشر الطبعة الأولى من كتابه بألمانية سنة 1898م، وإن قد ظهر أيضا قبل كتاب بروكلمان في مصر "***كتاب في تاريخ العرب وآدابهم***" لإدوارد فانديك وفيليبلدس قسطنطين طبع سنة 1892م. ولكنه كتاب

تعليميّ لا يقدّم إلّا نظرة عابرة في أدب العرب وثقافتهم. ويبدو أنّه متأثّر بالكتب الألمانية والانجليزية السابقة عليه والمذكورة من قبل. وكان بروكلمان متأثرا في كتابه بكتاب فون كريمر في كثير من التوجيهات وتنوير جوانب الموضوع الذي تعرّض له. ولكن منذ ظهور كتاب بروكلمان أخذت كتب تاريخ الأدب العربي تصدر تباعا له في الشرق والغرب. ثم ألّف هواز الفرنسي (Cl. Haurt)كتاب (Literature Arabe)في باريس سنة 1902م، وفعل بيتسي الإيطالي(J. Pizzi) مثل ذلك حين ألّف كتاب (Literature Arabia) فلينو سنة 1903م، غير أن الكتابين مستندان على ***تاريخ الأدب العربي*** لكارل بروكلمان. وكتب المستشرق دي جو كتابه (Die Arabia Literature, Berlin) سنة 1906م، ولهذا الكتاب فوائد كثيرة. وقام آر. نيكلسون (R.Nicholas) بتقديم كتاب (A Literary History of the Arabs) في لندن 1922م. كما تناول آدم متز (Adam-Mez) العصر العباسيّ (Die Renaissance Des Is Islam, Heidelderg) سنة 1922م.[20]ومن ضمن هذه الكتب الاستشراقية في تاريخ الأدب العربي كتاب ريجيس بلاشير الفرنسي في هذا الفن.

كارل بروكلمان وكتابه تاريخ الأدب العربي

نبذة تاريخية عن حياة كارل بروكلمان

ولد عام 1868م في مدينة "روستوك" الألمانية، وكان والده تاجرا في سلع المستعمرات . ظهرت موهبته في تعلّم اللغات بسرعة فأظهر ميوله إلى الدراسات الشرقيّة وهو في المدرسة الثانويّة.درس العلوم الشرقيّة على يد "نولدكه" كما درس اللغة السنسكريتية والأرمنية لدى عالم اللغات "هاينرش هوبشمان" ودرس الحضارة المصرية القديمة وتفوّق في الإختبار الذي وضعه العالم "نولدكه" عام 1889 لدراسة العلاقة بين كتابي ***الكامل*** لابن الأثير، و ***أخبار الرسل والملوك*** للطبري، نال درجة الدكتوراه في الفلسفة عام 1890 من جامعة اشتراسبورج، وعيّن مدرّسا في المدرسة البروتستنتية. واصل دراسة العربية، وغادر إلى برسلاو (1310ه/1892م) وحصل على الدكتوراه التأهيل للتدريس في دير هابل (1311ه/1893م)، دعاه المستشرق (إدوارد سنماو) للتدريس في معهد برلين الإستشراقي بعد شغور المنصب إلى جامعة ليبزك، وفي عام 1903م حصل على فرصة للارتقاء لدرجة الأستاذية بعد أن تقاعد المستشرق (جوزيف يان) من جامعة كوينكربرك (الآن هي كالينغراد في روسيا)، فانتقل إليها بروكلمان وسكن فيها حتى عام 1910م.استلم كرسي الدراسات الشرقية في برلين (1340ه/1921م) تقاعد في عام (1354ه/ 1935م) وواصل العمل في كتابه ***تاريخ الأدب العربي***.[21]

وامتاز بروكلمان بكثرة أعماله التي وصفها بعضهم بالموضوعية، والعمق، والشمول، والجدة، وتعدّ أطروحته للدكتوراه العلاقة بين كتاب الكامل في التاريخ لابن الأثير وبين كتاب أخبار الرسل والملوك للطبري مرجعا للمصنّفين في التاريخ العربي الإسلامي والأدب العربي، إذ قلّ منهم من لم يستند إليه أو يتوكّأ عليه.[22] وهو الآخر نال مكانة بارزة في الدراسات الإستشراقية، فمعظم الباحثين في تاريخ الشرق الإسلامي، لا يمكنهم الاستغناء عن كتاب بروكلمان - تاريخ الأدب العربي- بأجزائه الستة، الذي يعدّ المرجع في كلّ ما يتعلّق بالمخطوطات العربية وأماكن وجودها[23]، وكان من أعضاء المجمع العلمي العربي في دمشق، ومجامع علمية أخرى كثيرة. وقد حرّر مواد كثيرة في ***دائرة المعارف الإسلامية***. ودراسته وبحوثه في التاريخ واللغة والأدب واللغات السامية، غزيرة ووفيرة.[24]

وكان لظهور بروكلمان في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي دور كبير في نقل مستوى الدراسات الشرقية إلى مرحلة مهمةّ، بما تركه من أعمال بقيت معتمدة إلى هذا اليوم. وقد استمرّ نشاطه إلى أواسط القرن العشرين الميلادي، لذا كان تأثيره على الدراسات الشرقية كبيرا.[25] وقد ترك بروكلمان عدة كتب للأجيال في مشارق الأرض ومغاربها .

كتاب تاريخ الأدب العربي لبروكلمان

يعدّ ***كتاب تاريخ الأدب العربي*** للمستشرق الألماني كارل بروكلمان من أهمّ الأعمال الأوروبية التي كرّست لفهرسة التراث العربيّ في القرن العشرين والتي اضطلع بها يراع شخص فرد، هذا العمل الضخم الذي استطاع مؤلّفه أن يستقصي الجوانب المختلفة للتراث العربي المخطوط منه والمطبوع على امتداد مكتبات العالم الجديد.[26]قدم بروكلمان كتابه هذا في ستة أجزاء ضخمة الذي نال الصيت في الأوساط الأدبيّة والعلميّة. ولا ريب منذ ظهوره أخذت كتب تاريخ الأدب العربي تصدر تباعا في الشرق والغرب. يمكن القول بأنّ هذه الكتب اتّسمت كلّها على وجه التقريب بميسم التأثر ببروكلمان مباشرة أو غير مباشرة ؛ و حذت حذو منهجه على الأقلّ في تناول تاريخ العرب من الواجبات العقلية والعلمية البحتتة والأدبية الخاصة وغير ذلك في إطار جامع تارة وفي دراسات مفصّلة متمايزة أخرى. ألّف الكتاب بلغته الألمانية، فترجم عبد الحليم النجار ثلاثة أجزاء أولى إلى العربية وثلاثة أخرى ترجمها إليها السيد محمد يعقوب بكر ورمضان عبد التواب. وقد التزم بروكلمان في هذا التاريخ الأدبي المعنى العام لكلمة الأدب وأرّخ فيه حقّا لأعلام الفكر والأدب تاريخا عامّا. ورأى أن كلمة "الأدب" يمكن توسيع معانيها بإطلاقها على كل ما صاغه الإنسان في قالب لغوي لوصوله إلى الذاكرة. واللغة العربية لغة حيّة غنيّة تزخر بثروة لفظية وإنتاجات أدبيّة شامخة. وحقّا أنّ ظواهر هذه الإنتاجات ظلّت تزداد وتتكاثر إلى حدّ يضطرّ مؤرّخ الأدب العربيّ إلى الإقتصار على الشعر كما أنّ الأدب يعدّ على وجه العموم عند شعوب الثقافة الحديثة هو ثمار الشعر بأوسع معانيه، ولكن المؤرّخ كارل بروكلمان غير متّفق بهذه النظرية بالنسبة إلى تاريخ الأدب العربي لعدم الدلالة للشعر العربي في نموّ الثقافة الإنسانية مثل ما لتأثير العلماء الكاتبين بالعربيّة من دلالة في بناء صرح العلم . ويظنّ أنّ تاريخ الأدب العربيّ سيفوت الكمال والنضج إذا خضع المؤرّخ العربيّ لقيود الثقافة الحديثة واقتصر على النظر إلى الشعر وحده. وبهذا اختلف رأيه عن بعض المؤرّخين ، أمثال فلهلم شيرر (W.Scherer) الذين يريدون إدخال تاريخ العلوم في دائرة البحث الأدبيّ التاريخيّ ولا يرى كارل بروكلمان إمكان هذا لتنوّع الحياة الحديثة تنوعا لا نهاية له.[27] ولهذا يقول:

> "فالذي يعدّ أدبا على وجه العموم عند شعوب الثقافة الحديثة هو ثمار الشعر بأوسع معانيه فحسب، ولكن كما جمع علم اللغة القديم تحت مدلول "الأدب" نثار المعرفة إلى آثار فن القول، كذلك أراد فلهلم شيرر ان يدخل تاريخ العلوم في دائرة البحث الأدبي. ولكن تنوّعت الحياة الحديثة تنوع لا نهاية له هو الذي يجعل مثل هذا المطلب غير ممكن. بيد أن تاريخ الأدب العربي سيبقى غير كامل إذا أردنا أن نخضعه لقيود الثقافة الحديثة، واقتصرنا على النظر إلى الشعر وحده. ذلك أنّ الشعر العربّي ليس له من الدلالة في نمو الثقافة الإنسانية مثل ما لتأثير العلماء الكاتبين بالعربية من دلالة في بناء صرح العلم. لأن اللغة العربية لم تبق مقيدة بحدود أمّة واحدة، بل صارت أداة كل ثقافة وحضارة في المحيط الواسع الذي نفذ إليه الإسلام دينا: من شواطئ بحر بنطس (الأسود) إلى زنجبار، ومن فاس وتمبكتو إلى كشغر وجزر الملايو ..."[28]

وكتاب بروكلمان بأجزاءه الستة مقسوم إلى خمسة عصور ففي الجزء الأول تحدّث عن العصر من أوليّة الأمّة العربية (من العصر الجاهلي) إلى ظهور الإسلام، ثم تحدّث عن عصر النبي صلّى الله عليه وسلّم وعصر الأمويين، وذهب إلى وحدة الأمّة العربيّة قبل الإسلام تحت أفكار الديانة والعادات التي جعلتها هي وأن لغة الشعر العربي تؤيّد هذا، ولا يرى لغة الشعر العربي لغة جارية في الإستعمال العامّ، بل عدّها لغة خاصّة بالفن القائمة فوق اللهجات كما عدها جميع المؤرخين.

وفي الجزء الثاني تحدّث عن عصر النهضة العربية منذ 750 إلى سنة 1000م وذكر تراجم شعراء البلاد المختلفة ثم تحدّث مجملا عن النثر الفني وذكر تراجم أدباء هذا الفنّ وكُتَّابه. ثم ألقى الأضواء على علم اللغة وعلماءها في مختلف البلاد العربية. وتكلّم عن الغموض والظلام الذين لاحظ في أوائل علم اللغة العربية.

وتناول بروكلمان في الجزء الثالث كتب المؤلفين الذين ألفوا فيها سيرة الرسول وفي مقدمة هؤلاء عند بروكلمان موسى بن عقبة بن أبي العباس الأسدي. ثم ذكر تاريخ المدائن وتراجم الرجال، تاريخ القديم وأبطالها، وتاريخ الحضارة والثقافة وعلماءها وتاريخ مصر وشمالي أفريقية وتاريخ اليمن والأندلس. ثمّ بحث في أدب السمر وذكر كتب الثقافة العامّة ومؤلّفيها. ثمّ ذكر علم الحديث وذكر كتب المسائد والحديث المصنف ومن اسهم في هذه الفنون؛ ثمّ تحدّث عن علم الفقه والمسالك الأربعة وأئمّتها ورجالها ثمّ عن مذاهب أخرى اقلّ شهرة وذكر عن ناشريها ومتبعيها.

وفي الجزء الرابع من الكتاب تحدث عن علوم القرءان وتفسيره والعقائد والتصوف والمترجمين والفلسفة والرياضيات وعلم الفلك والتنجيم والجغرافية والطبّ مع ذكر رجال هذه الفنون والعلوم.

وفي الجزء الخامس من الكتاب تكلّم عن الشعر والشعراء والنثر الفني والبلاغة وعلم اللغة وأصحابها في مختلف البلاد من نحو سنة 400ه/ 1010م إلى نحو سنة 656ه/ 1358م.

وتحدث في الجزء السادس للكتاب عن تواريخ الدولوتواريخ الرجال والأنساب وتواريخ المدن والأمصار وتواريخ الخلفاء وتواريخ العالم وتواريخ الأنبياء وتحدث عن علم الحديث ومن أسهم فيه من علماء العراق والجزيرة وسوريا والجزيرة العربية وفارس والهند ومصر والمغرب والأندلس. وأخيرا في هذا الجزء تحدّث عن علماء فقه الحنفية.

الخاتمة

ومن خلال ما تقدّم، نرى أنّ المستشرقين قد لعبوا دورا كبيرا في دفع عجلة الأدب العربي إلي الأمام عن طريق الدراسات العلميّة والبحوث الأكاديميّة حيث لاحظوا أنّ الإحاطة بالأدب العربي لا تتمّ بدون دراسة تاريخه. لكن المؤرخين السلف لهذا الفنّ لم يبنوا أعمالهم على منهج منطقيّ مستقيم، فقام المستشرقون بإعادة تاريخه وبنوه على منهج منطقي مستقيم وهو تقسيمه إلى العصور. وكان كتاب كارلمان ***"تاريخ الأدب العرب"*** دافعا مؤثّرا في علماء هذا الفنّ فبدأوا يكتبون مؤلّفاتهم على منواله. و في ضوء ما سبق، لا أرانا مخطئين أو مخطّئين لو سلّمنا بأن تاريخ بروكلمان ليس في الحقيقة إلاّ نقطة الإنطلاق لفنّ تاريخ الأدب العربي

المراجع

[1] رودي بارت، *الدراسات العربية في الجامعات الألمانية (المستشرقون الألمان منذ تيودور نولدكه* ، ترجمة مصطفى ما هر ، القاهرة دار الكتاب العربي، ص 1
[2] محمد الشاهد، الإستشراق ومنهجية النقدية عند المسلمين المعاصرين: ، *الإجتهاد*، العدد 22، 1414ه/1994م. ص 191-211
[3] جمال البليدي، *تعريف الاستشراق وأهدافه*: http://www.elforkan.com/7ewar/showthread.php
[4] محسن محمد حسين، *الإستشراق برؤية شرقية*: ، ط 1، بغداد، دار المعارف، 2012م. ص 270
[5] شاكر عام شوق، *الإستشراق : أخطر تحد للإسلام*: ، دراسات الجامعة الإسلامية العالمية، المجلد الثالث، شيتاغونغ، 2006م، ص 63 – 78
[6] سامي سالم الحاج، *الظاهرة الإستشراقية وأثرها على الدراسات الإسلامية*، ط 1، بيروت ،دار المدار الإسلامية، 2002م. ص 28
[7] محمود حمدي زقزوق ، *الإستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري* ، ص 19، ط 1، الكويت ،سلسلة كتاب الأمة، 1404ه. ص 19
[8] المصدر نفسه، ص 20.
[9] مصطفى السباعي، *الإستشراق والمستشرقون* ، ط 2، بيروت، المكتبة الإسلامية، 1979م، ص 14
[10] محمد صالح البنداق، *المستشرقون وترجمة القرآن الكريم* ، بيروت، دار الآفاق الجديدة ، 1980م. ص 90
[11] محمد البهي ، *الفكر الإسلامي الحديث* ، ط 6، بيروت،دار الفكر، 1973م، ص 532
[12] محمد فتح الله الزياد ، *الإستشراق: أهدافه ووسائله*، بيروت ، دار قتيبة، ، ط 2، 2002م، ص 26
[13] علي جريشة وغيره، *أساليب الغزو الفكري* ، ط 1، القاهرة، دار الإعتصام، 1977 ، ص 19
[14] محمد البهي ,الفكر الإسلامي *الحديث* ، ط 6، بيروت،دار الفكر، 1973م،، ص 28،
[15] بلعبدو صنية ، *جهود بروكلمان في خدمة الأدب العربي*، رسالة الماجستير، ص "ب"، جامعة عبد الحمدي بن باديس مستغانم، الجزائر، 2018م.ص 55
[16] شوقي ضيف، *تاريخ الأدب العرب"العصر الجاهلي"* ، ط 28، القاهرة، دار المعارف، ، 2008م. ، ص 12
[17] مصطلح نحته الباحث، فالجيم للجنس والزاي للزمان والميم للمكان
[18] شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي ، ص 12،
[19] المصدر نفسه
[20] السابق ص 13
[21] غلام مصطفى مير ، *فنّ تاريخ الأدب العربي :دراسة مقارنة بين شوقي ضيف وعمر فروخ*، أطروحة الدكتوراه ، ،جامعة كشمير، سرينغر، 2016م. ، ص 2
[22] كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي ، ترجمة عبد الحليم النجار،، ج 1، ط 5، القاهرة، دار المعارف، 1962. ص 32
[23] غلام مصطفى مير ، *فن تاريخ الأدب العربي* ..... ص 74-77
[24] عبد الرحمن بدوي، *موسوعة المستشرقين* ، ط 3، بيروت، لبنان، دار العلم للملايين ، 1993م. ص 98 -103

[25] نجيب العقيقي، *المستشرقون : موسوعة في تراث العرب مع تراجم المستشرقين ودراساتهم عنه منذ ألف عام حتى اليوم* ، ، ج 2، ط 5، القاهرة، دار المعارف، 2006م. ص 425
[26] محسن محمد حسين، *الإستشراق برؤية شرقية* ص 270
[27] محمد محمود الطناحي ، *مدخل إلى تاريخ نشر التراث العربي* ، ط 1، القاهرة, مكتبة الخانجي، 1984م , ص 260
[28] محمد سعدون المطوري، *الإستشراق الألماني ودوره في الدراسات الشرقية :تاريخ الاستشراق الألماني وملامح من أسسه المنهجية* ، ، دراسات استشراقية العدد الثالث, 2015م. ، ص 202